إذ لا ملابسة بين كرم أبي الحسين وبين مرارة النَّوَى .» (١)

وإذا كان مبحث الفصل والوصل قد تميز بقدرة خاصة على الربط بين الجمل – فإن ابن الأثير ومن بعده العلوي قد حاولا مدَّ هذه القدرة إلى الحروف الجارة باعتبار قدرتها أيضًا على وصل الكلام ، والخروج من حدودها النَّحْوية إلى إطارات دلالية متعدِّدة ؛ إذ إن عمل الحرف العاطف والحرف الجار لا يظهر أثره إلا بوجود التركيب المتكامل ، فلا إفادة من حرف الجر إلا بوجود المجرور ، ولا العطف إلا مع المعطوف ، فلا بيئة لهذه الأحرف خارج السياق . غير أن طبيعة حروف العطف يتسع مجال تأثيرها أكثر من حروف الجر ، إذ يمتد هذا التأثير إلى أكثر من جملتين ، بل يمتد إلى جملتين بينهما فاصل لُغوي يمكن أن ينضوي تبعًا تحت تأثير الحرف العاطف ، وبهذا تمتد الحركة الرأسية إلى التركيب الدلالي التام ، ففي قول المتنبي :

تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بينا   تَهَيَّبَنِي فَفاجَأني اغْتِيالا
فَكَأَنَّ مسير عيسهم ذميلا   وَسَيْرَ الدَّمْعِ إثرهم انهِمالا

نجد أن قوله (فكأن مسير عيسهم) معطوف على (تولوا بغتة) دون ما يليه من قوله (ففاجأني) لأن العطف على ما يليه يفسد المعنى ، حيث يدخله في معنى (كأن) وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة ، ويكون متوهمًا كما كان تهيُّب البين كذلك .

ولكن يلاحظ أن قوله : (فكأن مسير عيسهم ذميلاً) لم يعطف وَحْدَهُ على ما عطف عليه ، ولكن نجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطًا آخره بأوله ؛ ذلك أن الغرض من الكلام أن يجعل توليهم بغتة وعلي الوجه الذي

(١) العلوي : الطراز ، ج ٢ ، ص ٤٨ .